على الرفقة والنجى وإن البرود من قبلهما خاصة جهوة
تخرجهم من التوكل وإنما يفعله فاجر يخيب المحاويج
إلى غير الله فاما من باشر الأسباب والأدوية وتعاطى
تدبير الأمور بنفسه وأعوانه وماله في ما جرت به حكمة
الله تعالى في أرضه وعادته في خلقه غير معتمد على شيء من
ذلك بل هو واثق بالله وإنما حصل بتقديره وهما
تقصير بتقديره ومعتمده في ذلك على المسبب
لا على الأسباب فهذا هو المتوكل لان من شرطه أن
يحتسب في ذلك كله مع الامور ولا يسلك طريقا فيه معصية
فليس يستنزل ما عند الله تعالى بمعاصيه وقال علي
رضي الله عنه من ابتغى أمرا بمعصية الله كان أبعد
له رجاء وأقرب لمجيء ما اتقى ومن ظن أن الطلب والاكتساب
تناقض التوكل فيقعد في بيته ويغلق بابه متوكلا على الله
بزعمه كان عن العقل خارجا وفي تيه الجهل والجا
ويقال له فيجيب من هذا إذا جعت وحضر الطعام
لا تمد يدك إليه وأن لا تبلغ فمك فإن مضى عليه كان
إلى الخروج من العقل أحوج منه إلى المعرفة وينبغي لأهله
أن يداووه ألا ترى أن الله سبحانه قال لمريم وهزي
إليك بجذع النخلة فجعل أمرها بالسكون ثم حمل
الرطب إلى فمها هكذا القول فيمن له دابة
أو بستان يومر بسقي البستان وحفره وإصلاح
ثماره ويومر بان يعلف دابته ويسقيها وأنشدوا
في هذا المعنى ألم تر أن الله قال لمريم إليك فهزي
الجذع تساقط الرطب ولو شاء أن تجنيه من غير هزه جنته ولكن
كل شيء له سبب وهكذا قال الرسول عليه السلام
لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير

تغدوا

تغدوا خماصا وتروح بطانا فلم يجعل أرزاقها لها في أوكارها
بل ألهمها الطلب بالغدو والرواح وقد كان جميل رئيس
الفقهاء بفاس يرى من تصديق القدر وتكذيب الطلب
عون أهل زمانه من الملوك ما أكثر عجزه عن الطلب
والتقلب فيما خرجه أخوته عن سلطانه وقهروه عن مملكته
فقال له بعض الحكماء إن ترك الطلب يضعف الهمة
ويذل النفس وصاحبه صائر إلى خلاف ذلك وان الأعجز
من الحيوان كالضب وسائر الحشرات تنتشر في أحجرتها
وفيه يكون مؤونتها ثم جمعوا بين القدر والطلب وقالوا
إنهما كالعدلين على ظهر إن حمل في واحد منهما أرجح مما
حمل في الآخر سقط حمله وذهب ظهره وثقل عليه سفره
وإن عادل بينهما أسلم ظهره وأنجح سفره وتمت بغيته
وضربوا في ذلك مثلا عجيبا وقالوا إن أعمى ومقعدا
كانا في قرية بفقر وضر لا قائد للأعمى ولا حامل للمقعد فكان
في القرية رجل يطعمهما كل يوم احتسابا قوتهما
من الطعام والشراب فلم يزالا في عافية إلى أن هلك
المحتسب فلبثا بعده أياما فاشتد جوعهما وبلغ الضر
منهما جهده فأجمع رأيهما على أن يحمل الأعمى المقعد
فيدله ويدوران في القرية فيستطعمان أهلها ففعلا
فنجح أمرهما ولو لم يفعلا هلكا وكذلك القدر سببه
الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه
فاخذ جميل في الطلب وظفر بأعدائه ورجع إلى ملكه وكان جميل
يقول لا غنى عن الطلب لتكل إلى القدر ولا تجهدن نفسك
في الطلب معتمدا عليه مستهينا بالقدر فإنه إذا جهدت
نفسك في الطلب يوهي التدبير وصدقا للقدر فلن ما تحاول
ولم تلتوي عليك الأمور وإن عملت بذلك والتوى عليك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)